**مخاطر الترف**

**الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على مسك الختام، محمد بن عبد الله خير الأنام، وعلى آله وصحبه مصابيح الظلام، وعلى التابعين لهم بإحسان على الدوام.**

**أما بعد:**

**فإن ثمة ظاهرة خطيرة جداً، ظاهرة عمت المجتمعات؛ أثرت على الأغنياء والفقراء، والصغار والكبار، والرجال والنساء؛ حتى أنها أثرت على كثير من الدعاة وطلبة العلم، والعباد والزهاد، والواقع بهذا ظاهر للعيان، ولا يحتاج منَّا إلى كثير من الاستدلال، هذه الظاهرة هي ظاهرة الترف.**

**هذا الترف الذي أفسد القلوب، وأبعد الكثير من الناس عن علام الغيوب، وله أخطار جسيمة، ومفاسد عديدة؛ من هذه المخاطر نذكر ما يلي:**

**1.  أن الترف غالباً يطغي الإنسان، ويفسد علاقته بربه، ويجعله ينحرف عن أوامر الله –تعالى-؛ قال الله –تعالى-: {كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} سورة العلق(6)(7). فالغنى سبب من أسباب الانحراف؛ لأن الغني يستطيع أن يحصل على كثير من الشهوات التي قد لاتتاح للفقير، وهذه الشهوات كثير منها مما حرمه الله -تعالى-؛ قال صلى الله عليه وسلم-: (حجبت النار بالشهوات، حجبت الجنة بالمكاره)****[1](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn1" \o "). ولذلك فالدنيا سبب من أسباب الانحراف، والانحراف سبب من أسباب الدمار والهلاك؛ قال الله –تعالى-: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} سورة الإسراء: (16). فهذا قارون صاحب الكنوز الثمينة، كان ترفهه وتكبره وتجبره على ملك الملوك أن أخزاه الله، فخسف به وبداره الأرض؛ قال الله-تعالى-: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ} سورة القصص: (81). فالغني الذي لا يؤمن الله بالله ولا باليوم الآخر، ولا يؤدي ما أوجب الله عليه؛ يصاب بالبطر والكبر، ويصبح ماله نقمة عليه في الدنيا والآخرة؛ قال الله -تعالى-: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ\* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ \* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ \* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ \* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ \* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ \* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ \* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ \* لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخاطئون\*} سورة الحاقة: (28-37).**

**2.  أنَّ الدنيا هي سبب النزاع بين الناس في القديم والحديث؛ فهي سبب الفرقة والتناحر بين المجتمعات، وبين الأفراد في المجتمع الواحد، ولم ينج من ذلك حتى أهل القرن الأول، فبعد غزوة بدر مباشرة دبَّ شيء من الخلاف بين بعض الصحابة على الغنائم حتى نزل قوله –سبحانه-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} سورة الأنفال: (1). وكذلك كانت الغنائم سبب نزول كثير من الرماة عن التلة في غزوة أحد، وكان ذلك سبباً في تغيير مجريات المعركة. ولقد كان التنافس على الحكم سبباً لفرقة هذه الأمة قديماً وحديثاً، ولا زال ذلك السبب الأول في عدم اتحاد أمتنا الإسلامية حتى الآن. ولذلك جاء ذلك واضحاً في الحديث الصحيح: (فتنافسوها كما تنافسوها...)****[2](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn2" \o "). وعن عبد الله بن عمر و بن العاص-رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إذا فتحت عليكم فاروس والروم... تتنافسوها، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون)****[3](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn3" \o "). فالدنيا إذن سبب للنزاع والصراع الذي يدمر الأمة ويهلكها، والزهد فيها سبب للحب والألفة؛ قال رسول الله -صلى الله لعيه وسلم-: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)****[4](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn4" \o ").**

**3.  الترف يلهي عن ذكر الله -تعالى-؛ كما في الحديث: (وتلهيكم كما ألهتهم)****[5](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn5" \o ")؛ لأن الإنسان إذا كثرت أمواله انشغل -غالباً- بالمحافظة عليها، والتجارة فيها، وتنميتها، وتحصيلها من التجار، وملاحقة ذلك ليلاً ونهاراً، فلا يجد وقتاً لتعلم دينه، أو لقراءة القرآن، أو لصلاة الجماعة، وفعل النوافل، وقيام الليل، وما شابه ذلك؛ فهو في نهاره مشغول بأمواله، وفي نومه تعرض له في أحلامه، فيرى في نومه أنه ربح ربحاً عظيماً، أو خسر خسارة فادحة، وهكذا...**

**4.  أنَّ الأمة المترفة لا تكون أمة مجاهدة، والتاريخ أكبر دليل على ذلك، فقد فتح المسلمون الأوائل الدنيا وهم فقراء، فلما أصابهم داء الترف؛ وقفت الفتوحات، فلما اشتد بهم هذا الداء؛ بدأت دولتهم تتقلص، وبدأوا يتراجعون. فهذه الأندلس كانت يضرب بها المثل فيما وصلت إليه من ترف، فماذا كانت نتيجة ذلك؟ تناحرت ملوكها، وتقاعس أهلها عن الجهاد، فابتلعها الصليبيون. وحدث مثل ذلك لبغداد عاصمة الخلافة العباسية التي بلغ فيها الترف مبلغه، فلم تستطع أن تقف في وجه التتار، وقس على ذلك... ولكن ليس معنى هذا أن الغنى كله سيئات، وليس له حسنات، فالمال نعمة يمكن أن تسخر في الخير كما يمكن أن تسخر في الشر، ولكن الواقع البشري نلاحظ فيه تسخير هذه النعمة في معصية الله- غالباً- وليس في طاعة الله- تعالى-؛ فعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (... إنَّ هذا المال حلوة، من أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، وإن أخذه بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع)****[6](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn6" \o "). كما أن ذلك لا يعني أنَّ الفقر ليس له مخاطر، فإنَّ الفقر الشديد المدقع قد يدفع الإنسان إلى الانحراف، وقد يؤدي إلى كل ما يؤدي إليه الترف. ولكن المقصود هو التوازن في النفس البشرية، فإنَّ الناس لشدة حبهم للمال لا يكادون يرون للغنى سيئة، ولشدة كرههم للفقر لا يكادون يرون له حسنة، فجاءت نصوص الكتاب والسنة تحذر من مخاطر الترف، وتحث على تحقيق التوازن في الحياة، وتبين أن الغنى ابتلاء، وأن الفقر كذلك، وكذلك تبين أن على الإنسان أن يجعل كل ما أوتي من مال وغيره، فيما يرضي الله -سبحانه وتعالى-.**

**أخي الحبيب: لا مانع من أن تملك الدنيا بيديك، ولكن إياك أن تدخل الدنيا قلبك؛ لأنها إن كانت بيدك فأنت الذي تملكها وتسخرها كما تريد، وأما إن دخلت قلبك فقد ملكتك، وأصبحت عبداً لها، تسيرك هي كما تشاء، وشتان بين الحالتين. ولقد كان بعض الصحابة من كبار الأغنياء، فلم نسمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول لأحدهم: لا يصح إيمانك، ولا يستقيم أمرك، ولا تكون مؤمناً حقاً؛ إلا إذا تخليت عن أموالك؛ لأنه يعلم أنها كانت في أيديهم لا في قلوبهم. فهذا أبو بكر-رضي الله عنه- يأتي بكل ما يملك من مال، فيضعه بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فيقول له: (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك)؟ فقال أبو بكر: أبقيت لهم الله ورسوله****[7](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn7" \o "). وهو الذي اشترى بلالًا وغيره من المؤمنين، وأعتقهم في سبيل الله. وهذا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يأتي بنصف ماله فيضعه في سبيل الله في غزوة تبوك. وأما عثمان بن عفان-رضي الله عنه- فقد جهز جيش العسرة بثلاث مائة بعير بكل مستلزماتها، وبألف دينار ذهباً. واشترى بئر رومة في المدينة المنورة من يهودي كان يستغل الناس، فجعلها عثمان في سبيل الله- تعالى-. وأما عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- فقد تصدق بمال كثير لا يُحصى، حتى إنه تصدق مرة بقافلة كاملة من الشام تحمل الطعام، وجعلها كلها في سبيل الله –تعالى-. فهل هؤلاء ممن دخلت الدنيا في قلوبهم؟ لا وألف لا.**

**وقد يسأل سائل: أيهما أشد فتنة الغنى أم فتنة الفقر؟ وأيهما أعظم أجراً الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟ والجواب الصحيح- والله أعلم- أنَّ الغنى درجات، وأنَّ الفقر كذلك درجات، فبعض درجات الغنى أشد فتنة، كما أن بعض درجات الفقر أشد فتنة. والناس أيضاً أقسام، منهم من يكون المال أشد خطراً عليه، ومنهم من يكون الفقر أشد خطراً عليه. فالأمر يختلف من شخص إلى آخر، فقد يكون الفقر لبعض الناس أنفع، والغنى لآخرين أنفع؛ كما تكون الصحة لبعضهم أنفع والمرض لبعضهم أنفع؛ كما في الحديث الذي رواه البغوي وغيره عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما يروى عن ربه -تبارك وتعالى-: (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من  عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إنِّي أدبر عبادي إني بهم خبير بصير)****[8](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn8" \o "). والأجر كذلك، فهو تابع لشدة الفتنة والامتحان والمشقة، فمن بذل جهداً أعظم للاستقامة والنجاح في امتحانه كان أعظم أجراً، سواء كان فقيراً أم غنياً. فالعبرة بالجهد المبذول للالتزام لا بنوع الامتحان. وهكذا؛ فقد يكون أحد الأغنياء الشاكرين أعظم أجراً من فقير صابر، وقد يكون أحد الفقراء الصابرين أعظم أجراً من غني شاكر****[9](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftn9" \o "). اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى. اللهم إنا نعوذ بك من غنى يطغينا، أو فقراً ينسينا. سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.**

**[1](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref1" \o ") - رواه البخاري.**

**[2](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref2" \o ") - رواه البخاري.**

**[3](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref3" \o ") - رواه مسلم.**

**[4](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref4" \o ") - رواه ابن ماجه، وانظر صحيح ابن ماجه للألباني رقم (3310)**

**[5](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref5" \o ") - سبق تخريجه.**

**[6](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref6" \o ") - رواه البخاري.**

**[7](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref7" \o ") - رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.**

**[8](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref8" \o ") - أخرجه البغوي، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو بمعناه في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.**

**[9](http://www.alimam.ws/ref/159" \l "_ftnref9" \o ") - راجع: "الهدي النبوي في الرقائق"؛ صـ(88- 94). بحذف وزيادة. للدكتور شرف القضاة. دار الفرقان. الطبعة الثانية( 1410هـ). وللاستزادة في مسألة الغني الشاكر أم الفقير الصابر راجع: " مجموع الفتاوى(11/120) وما بعدها. وعدة الصابرين لابن القيم، فقد خصص جزءًا كبيراً ناقش فيه هذه المسألة باستفاضة، وبين كثر ة النزاع فيها بين الأغنياء والفقراء.**